البـاب الأول

الخصائص الطبيعية للموقع الجغرافي لسورية

تتبايـن معطـيات الإحداثيات الجغرافية لخطوط الطول والعرض المحددة للموقع الفلكي والمطلـق للجمهورية العربية السورية، من مرجع لآخر، تبايناً طفيفاً، سببه تدويرقيم إحداثيات الدقـائق والثوانـي، وأحياناً قيم الدرجات الفلـكية. وقد يكون السبب صغر مقاييس الخرائط المسـتخدمة لـتحديد الموقع الفلكي لسورية، ما يجعل مدى الخطأ في حساب الدقائق والثواني أكبر مما لو استُعملت الخرائط الطبوغرافية ذوات المقاييس الكبيرة.

وحسماً لما تقدم، قمنا بتحديد إحداثيات الموقع الجغرافي الفلكي لسورية، باعتماد الخريطة الطبوغرافية لها مقياس ١: ٢٥,٠٠٠ ومقياس ١: ٥٠,٠٠٠. فكانت النتيجة كما يأتي:

تقع سورية بين خطي العرض :

٣٢ درجة، و١٨ دقيقة، و٤٠ ثانية جنوب شرقي العانات في أقصى جنوبـي سورية.

و٣٧ درجة، و١٩ دقيقة، و١٥ ثانية قرب عين ديوار في أقصى شمال شرقي سورية.

وذلك شمال خط الاستواء.

وبين خطي الطـول:

٣٥ درجـة، و٣٦ دقـيقة، و٤٣ ثانـية، عند مصب نهر الأردن في بحيرة طبريـا وهو أقصى امتداد لسورية باتجاه الغرب.

و٤٢ درجة، و٢٢ دقيقة، و٣٠ ثانية في وادي نهر دجلة بين خانيك السفلى السورية، و فش خابور العراقية في أقصى امتداد لسورية باتجاه الشرق، وذلك إلى الشرق من خط طول غرينيتش.

ويمكن تدوير هذه القيم كالآتي والقول إن سورية تقع :

بين العروض : ٣٢ درجة، و١٩ دقيقة - و٣٧ درجة، و٢٠ دقيقة. شمالاً.

وبين الأطوال : ٣٥ درجة، و٣٧ دقيقة - و٤٢ درجة، و٢٣ دقيقة. شرقاً.

أي أن سورية تمتد على قرابة خمس درجات عرض شمال خط الاستواء، وعلى أقل من سبع درجات طول شرق خط طول غرينيتش.

وفي كل ما تقدم ــ وما سيأتي في دراستنا للجوانب الطبيعية لسورية ــ يجب أن نتذكر دوماً أن الموقع الجغرافي، وكذلك الحدود السياسية التي تنحصر فيها دراستنا، لا تتفق ولا في أي حال من الأحوال مع ما يشمله مفهوم " سورية الطبيعية "، الذي يغطي كل الكيانات السياسية التي أنجبتها اتفاقية سايكس- بيكو ومخلفاتها. لذا لايمكن أن نتقوقع في دراستنا الجغرافية الطبيعية في الحدود السياسية للجمهورية العربية السورية في الفصول والفقرات القادمة، إلاّ بالقدر الذي تفرضه طبيعة الأمور والموضوعات. فالمناخ والمياه والمظاهر الجيولوجية والبنائية وغيرها من أساسيات جغرافية طبيعية لا تقيدها الحدود السياسية، ولاتحد من انتشارها عبرها.

التضاريس والموقع الجغرافي لسورية

تقع سورية بحسب التحديد السابق، على الهامش الغربي للقارة الآسيوية، مطلة على حوض البحر المتوسط، المعروف في المصادر الإنكليزية والفرنسية بـ : (الشرق الأدنى، أو الشرق الأوسط)، أو (مطلع آسيا) في المصادر الألمانية. في رقعة من الأرض

المطوقة من الشمال بجبال التوائية عالية، هي سلاسل جبال طوروس، وامتداداتها شمالي العراق. ومن الجنوب بالهضاب والفيافي المنبسطة لصحارى شمال شبه الجزيرة العربية. وينتهي هذا اللسان البري عند شواطئ البحر المتوسط في الغرب. أما في الشرق فتستمر الأرض السورية مفتوحة ومنبسطة، وواطئة في أراضي الرافدين و سهوله والعراق في حدوده السياسية.

وقد فرض الموقع الجغرافي على سورية في حدودها السياسية، أن تضم مجموعات من التضاريس المنخفضة ذات الطبوغرافيا اللينة، التي تنضوي تحت محورين رئيسين من المنخفضات، يندسان بين مرتفعات وسلاسل جبلية لها المحاور الآتية:

١- محور تسوده المحصلة الشرقية- الغربية عامة، فهو شرقي- غربي في شمالي سورية، وشمالي شرقي- جنوبي غربي جنوبيها.

٢- محور تسوده المحصلة الشمالية- الجنوبية، شمالي- جنوبي في أجزائه الشمالية، وشمالي شرقي - جنوبي غربي في أجزائه الجنوبية.

ويسود المحور الأول على الشريط الغربي من سورية مسايراً الساحل الشرقي للبحر المتوسط. يلتحم في الشمال بجبال طوروس، التي تنبثق منها جبال الغرب السوري، وينقطع في الجنوب عن سلسلة جبال لبنان الغربية عند ممر عكار- حمص، ووادي نهر الكبير الجنوبي. واتجاه محور التضاريس في هذا الجزء من الشريط التضاريسي، شمالي - جنوبي في خطوطه العامة، مع بعض الانحرافات المحلية في بعض الوحدات الجبلية في الشريط، كما في سلسلة جبال النُّكار (الأمانوس) مثلاً.

إن أهمية هذا الشريط الجبلي وموقعه من سورية كبيرة، لدوره السلبي بالنسبة لطرق المواصلات، وصعوبات التواصل بين عالم البحر المتوسط البحري في الغرب، والعالم السوري في البر الواقع شرقه. وسبل الاتصال عبر هذا الجدار التضاريسي محدودة، تقتصر على الممرات الطبيعية الثلاثة التي تيسر عبوره، وهي ممرات بيلان، واللاذقية - جسر

الشعور، وممر عكار، أو(طرابلس- حمص). ولقد فرض هذا الواقع التضاريسي على طرق المواصلات الرئيسة، سلوك محاور شمالية- جنوبية مسايرة لأقدام الجبال في الغرب الساحلي، و في الشرق الغوري. وتربط بينهما اليوم وصلات عرضانية من طرق المواصلات القاطعة للجبال، ولبدة التطور التقني- الهندسي لبناء الطرقات العصرية. إذ تجاوز الإنسان اليوم الكثير من العقبات الطبيعية، بخرق الجبال، وفتح الأنفاق، وبناء الجسور وغيرها من منشآت الطرق البرية والسكك الحديدية.

تتابع تضاريس المحور الأول سيرها بعد ممر عكار- حمص، مسايرة سواحل البحر المتوسط، وباتجاه الجنوب الغربي موزعة على سلسلتين جبليتين بينهما وادي البقاع الغوري هما: سلسلة جبال لبنان الغربية والبقاع، والسفوح الغربية لسلاسل لبنان الشرقية في أراضي الجمهورية اللبنانية، وسلسلة جبال لبنان الشرقية بسفوحها الشرقية في أراضي الجمهورية العربية السورية.

أما المحور الثاني فيرسم مظاهر تضاريسية تتعامد مع تضاريس المحور الأول، نتيجة الموقع الجغرافي لجبال وسهول هذا المحور وتوزعها. ففي الشمال تمتد سلاسل جبال طوروس العالية من الغرب باتجاه الشرق، راسمة قوساً كبيراً يطل على سورية وحدودها مع تركيا. وتشكل جبال طوروس عقبة فعلية في وجه المواصلات والاتصال بين سورية في الجنوب و آسيا الصغرى والأناضول في الشمال. إلاّ عن طريق ممرات ضيقة وفجوج طبيعية حفرتها الأنهار القاطعة لمحاور الجبال.

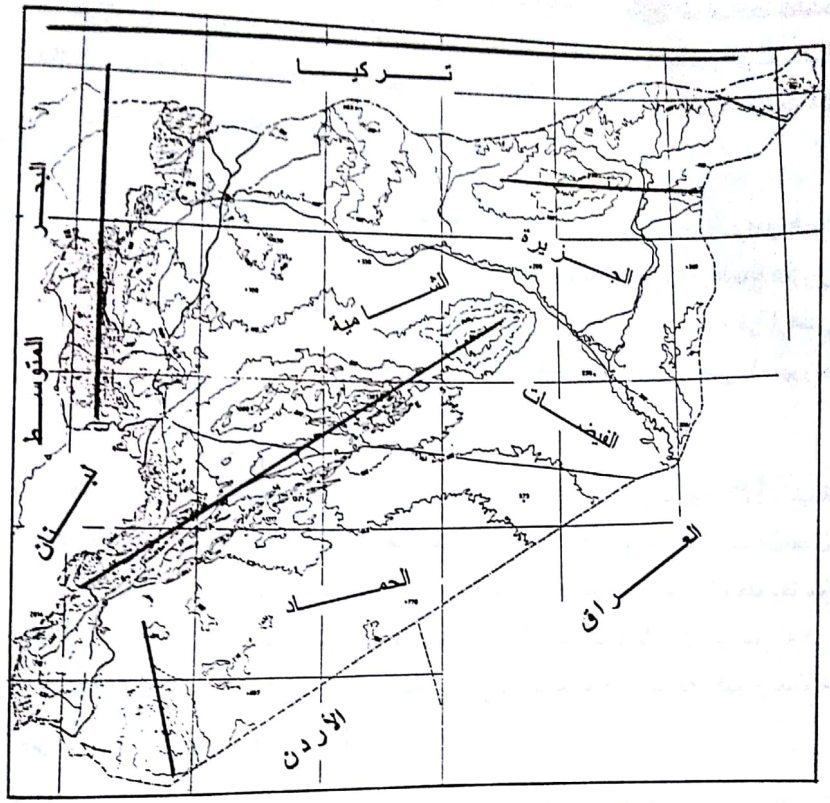

(الشكل ٢) خريطة ارتفاعات سورية ، تبين محاور التضاريس الرئيسة
بخطوط سوداء غليظة

الموقع الجغرافي لسورية، ملتقى منظومات بنائية

ترتب على موقع سورية في هذه البقعة من الكرة الأرضية، أن تلتقي وتتجاور فيها وحدات جيولوجية – بنائية (تكتونية) مهمة عدة، لها دورها البارز في مجال فرضية الصفائح التكتونية في العالم القديم، وبصورة خاصة على خطوط التماس بين آسيا وإفريقية. ففي النهاية الشمالية والشمالية الغربية للصفيحة العربية و(تعرف بالركيزة العربية أيضاً)، تحتل سورية الجزء الشمالي الغربي منها، يحيط بها من الشمال شريط تصادم الصفيحة العربية بالصفيحة الأوراسية، حيث تشكلت منظومة التواءات سلاسل جبال زغروس وكردستان على طول هذا الشريط. ومن ناحية الغرب السوري. فإن منظومة صدوع البحر الميت (أو الصدع السوري- الإفريقي)، رسمت معالم تضاريس الجناح الغربي السوري. وهنا بالذات تنتهي الحركات الصدعية الأساسية لهذه المنظومة التكتونية وتتوقف عند نهاية شريط سلاسل زغروس وكردستان الالتوائية.

وفي أقصى الشمال الغربي من سورية أيضاً، تتصادم الصفيحة الثانوية للأناضول مع الصفيحة الثانوية للبحر المتوسط، مما يزيد في أهمية التعرف على الموقع الجغرافي لسورية، ودوره في دراسة تعقيدات الحركات البنائية وتداخلها، وما ترتب على ذلك من أوضاع جيولوجية وتضاريسية في هذا الجزء من العالم. (انظر جيولوجية سورية في فصل قادم).

فالموقع البنائي لسورية جامع لعدد من المشكلات التكتونية، الشاهدة على حوادث مهمة في تاريخ الكرة الأرضية، وعلى حقيقة عدم الاستقرار في تكوينها حتى الآن.

أما من الناحية الجيولوجية- الستراتيغرافية، فإن الموقع الجغرافي لسورية، كان جزءاً من بحار قديمة غمرته مياهها، ورسبت فيه صخوراً ورسوبيات تعود إلى الأحقاب الجيولوجية المتعاقبة، مغطية بذلك سطح الركيزة العربية البلورية الصلبة. وبنهوض اليابسة فوق سطح بحر التيتس، وتراجع مياه بقاياه باتجاه الخليج العربي والمحيط الهندي

في الشرق والجنوب الشرقي من جهة، وباتجاه حوض البحر المتوسط في الغرب من جهة ثانية، ظهرت الأرض السورية، وبرزت فوق سطح مياه البحار المتخلفة عن بحر التيتس القديم، ونمت وتطورت عبر الحقب الجيولوجية المتأخرة. وقد جرى ذلك كله في هذا المكان الجغرافي الفريد من نوعه، الذي احتوى العديد من المنظومات البنائية، و حدثت فيه مجموعة من الحوداث والحركات التكتونية المولدة للقارات والجبال، فترتب على ذلك الكثير من نتائج جغرافية مهمة قررت مصير المنطقة.

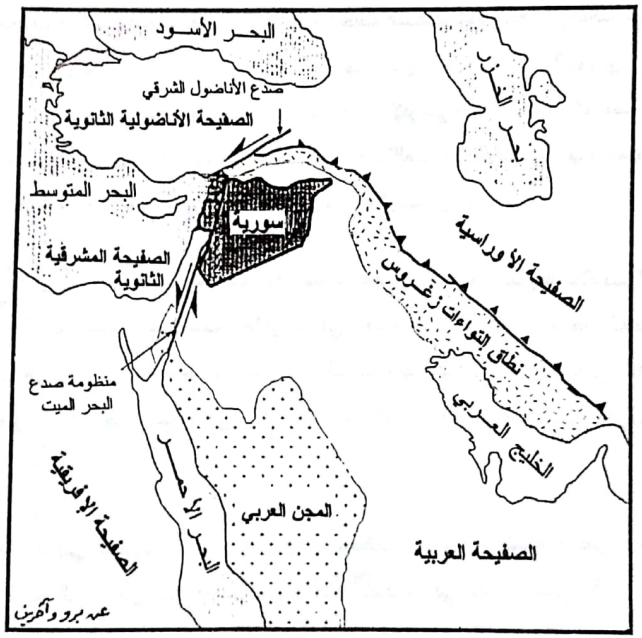

(الشكل ٣) سورية ملتقى الصفائح التكتونية

مناخ سورية ونبيتها وبيئتها، من خلال الموقع الجغرافي

يعد المناخ والطقس من أبرز العناصر الجغرافية الطبيعية، التي تكشف أهمية الموقع الجغرافيي لسورية وبلدان حوض البحر المتوسط الشرقي، واستمرارها في بلدان شمالي إفريقيا وجنوبي أوربا. ولقد فرض الموقع الجغرافي لسورية، أن تكون هذه البقعة من العالم، ملتقى كتل هوائية عديدة، قادمة من مصادر مختلفة، ذات خصائص متمايزة.

فالجبهة القطبية الشمالية تتقدم جنوباً في الشتاء حتى سورية، وتتراجع عنها شمالاً في فصل الصيف. وفي هذه العروض الجغرافية، فوق المدارية، تسود أوضاع مناخية وبيئية – نباتية تنتمي إلى (نطاق مؤثرات البحر المتوسط)، الذي رسم معالمه العالم (إمبرجيه). ويشبه هذا النطاق حزاماً ضخماً يستطيل من المحيط الأطلسي في الغرب، إلى أواسط تركستان في الشرق.

وتتركز في الأركان الأربعة لهذا النطاق، مراكز عمل جوي كبيرة هي : مركز الضغوط العالية السيبيري، في الركن الشمالي الشرقي، ومركز الضغوط الجوية المنخفضة الهندي– الموسمي في الركن الجنوبي الشرقي، ثم مركز الضغوط الجوية المنخفضة الآيسلندية في الركن الشمالي الغربي، وأخيراً مركز الضغط الجوي المرتفع الآصوري في الركن الجنوبي الشرقي. وجميعها في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وتتأثر حركات الهواء والرياح فيها بقوة الانحراف نحو اليمين بحسب قوة (كوريوليس).

وتحتل سورية من هذا المعقد المناخي البيئي– الحيوي، موقع الوسط، ما يجعل مناخها يتأثر بالأوضاع الجوية المتبدلة، والمتبادلة بين مراكز العمل الجوي المذكورة، وبقية العوامل الفعالة في النطاق المتوسطي. ويؤكد الموقع الجغرافي لسورية على هويته القارية، من خلال الخصائص شبه الجافة والجافة التي تميزه من غيره من بلدان المنطقة، بوقوعه وراء سلاسل جبلية ساحلية عالية تحجب عنها توغل المؤثرات البحرية والرطوبة، إلى الداخل السوري، الذي يعد منطقة متوسطية شبه صحراوية.

وقد انعكس ذلك كله على عناصر المناخ والطقس، وعلى الملامح النباتية والبيئية. إذ يمر في وسطها، الحد الفاصل بين مجموعتين نباتيتين رئيسيتين، هما: (ما تحت المنطقة الإيرانية- الطورانية) في شمالي سورية، و (ما تحت المنطقة الصحراوية- السندية) في جنوبيها. إن ما تقدم من إشارات إلى الارتباط الوثيق بين الموقع الجغرافي من جهة، والعناصر الجغرافية الطبيعية، يؤكد على الأهمية الكبرى للموقع الجغرافي، وتأثيره في عمليات النمو والتطور الجغرافي الحياتي التطبيقي جميعها.